

مركز تكامل للدراسات والابحاث

دراسات محكمة

جائحة القرن الواحد والعشرين
محاولة لفهم المتغيرات الإقليمية المحتملة
وتداعياتها

محمد الزهراوي

أستاذ العلوم السياسية
كلية الحقوق الجديدة

All rights
reserved



جميع الحقوق
محفوظة

مركز تكامل للدراسات و الأبحاث
TAKAMUL centre for Interdisciplinary Research and Studies

ارتبطت الجوائح عبر التاريخ بسقوط وانهيار بعض الإمبراطوريات، وتصعد الحكومات، وقتل وإبادة أجيال بأكملها وإحداث تغييرات جوهرية على مستوى الواقع والمسلمات العلمية والثقافية الرائجة، وإعادة تشكيل الخرائط والتحالفات والتوازنات الجيو- إستراتيجية السائدة.

جوائح كثيرة غيرت مجرى التاريخ، والأمثلة عديدة ومؤرخة ومسجلة، فحسب المؤرخين، فالطاعون الأنطوني (165-180 ق.م) يعتبر السبب المباشر في سقوط الإمبراطورية الرومانية الذي تفسى في روما إبان فترة حكم ماركوس أوريليوس خامس أباطرة السلالة النيرفية الأنطونية. أما جائحة "الموت الأسود" (1347-1352)، فقد وصفها مجلة هيستوري توداي الشهرية -التي تصدر في لندن- بأنها أعظم كارثة على الإطلاق، حيث بلغ الموتى رقما مذهلا هو قرابة مئتي مليون شخص.

بالإضافة إلى ما يعرف بالأنفلونزا الإسبانية (1918-1920) التي انتشرت إبان الحرب العالمية الأولى، حيث تفتشت في موجتين، الأولى بدءاً من عام 1918 قبل أن تنتهي عام 1920. وأصيب بالوباء زهاء 500 مليون شخص، توفي منهم خمسون مليوناً حول العالم، حسب مراكز مكافحة الأمراض والوقاية منها، وهي مؤسسة وطنية أميركية رائدة في مجال الصحة العامة¹.

وقد بدت الحضارة الإنسانية منتشية ومرتاحة إزاء تراجع خطر "الأوبئة والجوائح" خلال العقود الأخيرة، بعدما استطاع الإنسان بواسطة العلم والمعرفة أن يطوع الطبيعة نسبياً، وأن يطور لقاحات وأدوية جنبته المأسى والكوارث التي عرفتها البشرية خلال القرون السابقة، إلا أنه خلال القرن الواحد والعشرين، سيتكرر نفس السيناريو والفواجع نفسها، إذ انتشر وباء كوفيد 19 الذي صنفته منظمة الصحة العالمية بمثابة "جائحة"، ويستخدم وصف الوباء العالمي أو الجائحة (Pandemic) لوصف الأمراض المعدية عندما يسجل تفشياً واضحاً لها وانتقالاً من شخص إلى آخر في عدد من البلدان في العالم في الوقت نفسه.

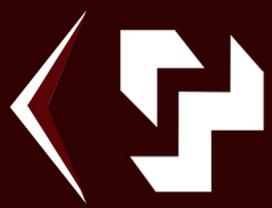
وفي ظل هذا الوضع، أصبح الحديث عن إعادة تقييم "ارتدادات العولمة" في ظل تنامي التناقضات والتوترات المصاحبة لمخرجات أزمة فيروس كورونا "Covid-19" وانعكاساتها الإنسانية والسياسية والاقتصادية على مختلف مكونات النظام العالمي. وكذلك الدفع بإعادة إنتاج أطر نظرية ومفاهيم قادرة على استيعاب الواقع الجديد، بل أن يتجاوز الأمر نحو التنظير للبدء بعملية "فك الارتباط" وإعادة هندسة النظام الدولي بما يتوافق مع إبستمولوجيا الأمانة لمجتمع المخاطر².

لقد عرت جائحة كورونا³ العالم الغربي وكشفت حقائق مهمة، وإن كانت مفاجئة للبعض وغامضة للبعض الآخر، فلا ريب أنها حقائق أعادت ترتيب وتصحيح أشياء كانت تصنف ضمن خانة البديهيات، خاصة فيما يتعلق بتصنيف الدول في سلم التنمية

¹ نشرت جريدة واشنطن بوست الأميركية مادة تفاعلية عن أوبئة وجوائح أخرى ضربت العالم وأوقعت مئات الملايين من الوفيات حول العالم على مر الأزمان. ورصدت الصحيفة الأميركية 19 وباء عانى منها العالم عبر القرون، كان آخرها جائحة فيروس كورونا المستجد (كوفيد-19). وأحصى الكاتب 19 وباء وجائحة هي الطاعون الأنطوني، والوباء الثالث، وجذري العالم الجديد، وفيروس سارس، وجائحة إنفلونزا الخنازير، وإنفلونزا 1918، وطاعون الموت الأسود، ومتلازمة الشرق الأوسط التنفسية (ميرس) وفيروس إيبولا، والإنفلونزا الروسية، وطاعون جستنبا، والإنفلونزا الآسيوية، والطاعون الإيطالي، والحى الصفراء، وأعراض نقص المناعة المكتسبة (الإيدز)، وإنفلونزا هونغ كونغ، وطاعون لندن العظيم، والكوليرا، وأخيراً كوفيد-19. المقال مترجم على موقع الجزيرة على الرابط التالي: <https://bit.ly/3fwGpm3>

² إيمان زهران، "هل ستسهم ارتدادات العولمة في إعادة هندسة النظام الدولي"، المركز العربي لبحوث والدراسات، 07 أبريل 2020، نشر على موقع المركز على الرابط التالي: <http://www.acrseg.org/41565>

³ بداية ظهور الفيروس كان في كانون الأول/ ديسمبر 2019 في مدينة ووهان الصينية، علمياً يعتبر هذا الفيروس الأحدث والخطر ضمن سلالة فيروسات كورونا التي ظهرت أول أنواعها 2002-2003 وسي وباء متلازمة التهاب الرئوي الحاد (SARS) وفي 2012 انتشرت السلالة الثانية منها وسميت بمتلازمة الشرق الأوسط التنفسية (MERS) وتعدّ فيروسات الكورونا حيوانية المنشأ، وهي قادرة على الانتقال من الحيوان إلى الإنسان ومن ثم تنتقل العدوى من إنسان إلى آخر. وقد اعتبرت منظمة الصحة العالمية (كوفيد 19) جائحة، وبالتالي يختلف عن الوباء، فالوباء قد يكون انتشاره في منطقة جغرافية كبيرة ومحصورة في دولة واحدة أو عدد قليل من الدول. أما الجائحة فتعني انتشاراً عالمياً لمرض شاملاً عدداً غير قليل من الدول، واختلقت وجهات النظر والآراء حول طبيعة الفيروس ومصدره وإخفاء المعلومات



والتقدم، والأنظمة الصحية في الدول الغربية، حيث أظهر فيروس كوفيد 19، أن معايير تصنيف الدول مابين نامية ومتقدمة باتت متجاوزة على الأقل وفق مؤشرات التنمية، كما كشف هشاشة النظام الدولي، لأنه جاء في وقت تفاقم أزمات النظام الدولي الذي تأسس بعد الحرب العالمية الثانية وهو نظام كان يتفكك ويتآكل ويحتاج إلى تغيير حتى بدون الكورونا⁴.

ومن نتائج تفشي وباء كورونا في ظل التحولات المتسارعة. رغم أن الصورة لا تزال في إطار التشكل ولم تكتمل على مستوى تداعيات فيروس كورونا المستجد. أن النموذج الغربي بزعمته الليبرالية يتجه نحو التراجع إن لم يكن نحو الفشل، مع الأخذ بعين الاعتبار الاستثناء الألماني. بالمقابل، صار النموذجي الشرقي/الصيني، عنوانا للتقدم والفعالية.

ويمكن الحديث على ثلاث نماذج تنموية/تديرية فرضت نفسها مع هذه الأزمة المرتبطة بتفشي جائحة كورونا: النموذج الأول، تمثله الصين، كدولة أبانت عن قدرات تنظيمية وتكنولوجية هائلة، إدارة الأزمة في زمن قياسي، الاشتغال على مستويات مختلفة، أبحاث، إدارة، حزم وصرامة وبيروقراطية ناجعة وليست رخوة... النموذج الثاني، الألماني، حيث دبرت هذه الدولة انتشار وباء كورونا بطريقة تحتاج إلى الفهم والرصد، حيث استطاع وتمكن الألمان في ظرف وجيز بطريقتهم الخاصة من السيطرة على انتشار الوباء، ومحاولة التعامل معه كوباء عادي (توفير كل ما يلزم من مستلزمات طبية، وفترة المختبرات)، بل فتحت مستشفياتها للمصابين من إيطاليا وفرنسا، في الوقت الذي كانت الصور التي تأتي من أورباتؤشر بشكل غير رسمي على أن هذا الفضاء أصبح منكوبا. أما النموذج الثالث، فهو كوريا الجنوبية، حيث طورت إستراتيجية اختبار مبتكرة (اختراع أجهزة اختبار سريعة..) توسيع سعة المختبرات، وتبعب واختبار الاتصال الشامل في مناطق مختارة، ثم عزل الحالات المشتبه بها في مرافق مخصصة بدلا من المستشفيات أو في المنزل.

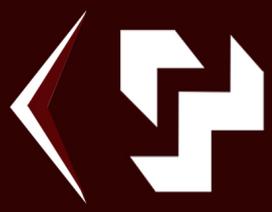
إنها نماذج ليست مختارة ظرفيا أو عشوائيا أو بشكل متسرعا، بل فرضت نفسها خلال هذه الأزمة التي اجتاحت العالم، وهي نماذج تجمع بين قوة التنظيم وسرعة التخطيط والتمكن من المعرفة العلمية، التكنولوجية.. هي نماذج أصبحت تفرض نفسها ضمن موازين القوى التي ستشكل مركز ثقل النظام العالمي، خاصة وأن هذا الفيروس عرى عن زيف "اليقنيات" والمعتقدات السائدة في كافة المجالات الحياتية، وفيما يبدو حسب هابر ماس "سيكون لهذه التجربة غير العادية في أدنى الحالات أثرها على الوعي العام"⁵.

عنه، إذ اعتبره جانب بأنه حالة مرضية تطورت بفعل عوامل طبيعية حصلت في سلالة عائلة معينة من الفيروسات باعتبار أن لها القدرة على التطور الطبيعي والتكيف مع المتغيرات البيئية لكي تستمر بالنشاط والتأثير. بينما ذهب اتجاه آخر، وهو الأكثر تداولاً، أنه تم تطويره في مختبرات بيولوجية وانتشر بفعل خطأ غير مقصود واعتباره سلاحاً بايولوجياً استحدث لأسباب وغايات اقتصادية وسياسية، واعتبار الصين قامت بإخفاء الحقائق حوله مما تسبب بجائحة وهو رأي وإن كان المرجح في الوضع الراهن ولا سيما أن الاتهامات تزايدت بين الدول وبالأخص عندما أعرب الرئيس الأمريكي ترامب بتسمية الفيروس (الصيني) إلا أنه ليس من السهل الأخذ به. واستناداً إلى القانون الدولي فهناك اتفاقيات تحظر استخدام وتطوير الفيروسات، منها اتفاقية حظر استحداث وإنتاج وتخزين الأسلحة البيولوجية 1972 والتي دخلت حيز النفاذ 1975، والغاية الأساسية منها، رغم عدم ذكرها بصيغة الإلزام، هو الابتعاد التام عن إمكانية استخدام عوامل جرثومية بيولوجية أو مواد سامة كأسلحة. وعليه إذا ما اعتبر الفيروس سلاحاً بايولوجياً استحدث لأسباب استراتيجية تهم من يستعمل هذه النوعية من الحروب، فهذا يعني أنه هناك فعلاً خطأ قد وقع وتسبب بضرر وهناك علاقة سببية. وهذا ما يتطلبه تقرير المسؤولية الدولية سواء أكانت عمدية أم تقصيرية. للمزيد حول هذه الجائحة راجع: : دليين سردار النوري، " كورونا المستجد(كوفيد 19) بين مفهوم الجائحة والحرب البيولوجية وتداعياتها على الأمن القومي " موقع ترك بريس على الرابط التالي :

<https://www.turkpress.co/node/70683>

⁴-ابراهيم أبراش، "الكورونا يضع النظام الدولي على المحك"، نشر بتاريخ 2020/04/15 على موقع ميدل ايست أولاين على الرابط التالي: <https://bit.ly/2UMsi41>

⁵-يورغن هابرماس والجائحة: في حوار نشرته مجموعة الصحف الألمانية وجريدة "لوموند الفرنسية"، تحدث الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس عن وجهة نظره فيما يتعلق بتداعيات جائحة كورونا وماذا تعنيه لأسلوب تفكيرنا وحياتنا. هابرماس يعد أحد أهم فلاسفة العصر وممثلاً للجيل الثاني لمدرسة فرانكفورت النقدية المدافعين عن أولية العقل ومكتسبات الحدثة وإرث التنوير النقدي. راجع الحوار الذي نشر يوم 11 أبريل 2011، وتم ترجمته ونشره فيما بعد على موقع "حكمة" على الرابط التالي: <https://bit.ly/3e8kmlx>

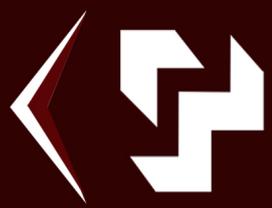


محاولة لفهم المتغيرات الإقليمية المحتملة وتداعياتها

هذه الإشكالات والتساؤلات المتنوعة باتت تفرض نفسها، لاسيما على مستوى التحولات الجيوسياسية والمتغيرات الإقليمية المحتملة بفعل تفشي وباء كوفيد 19، وما خلفه من خسائر اقتصادية وبشرية واجتماعية، لذلك، لا يمكن استشراف سقف وحدود وحجم المتغيرات والتحولات دون إثارة بعض الأسئلة ومحاولة معالجتها، من قبيل:

ما هي تداعيات جائحة كورونا على مستقبل الدولة فوق الوطنية (الدولة المركبة أو الأشكال الاندماجية الأخرى)؟ خاصة وأن تكتل الاتحاد الأوروبي خلال هذه الأزمة ظهر عاجزا، وهل صارت العودة إلى الدولة الوطنية بمفهومها الكلاسيكي وشكلها المركزي خيارا استراتيجيا وضروريا لإدارة الأزمات؟ لاسيما وأن بعض الدول كالمغرب بإمكاناتها المحدودة استطاعت أن تدبر هذه الجائحة بطريقة أفضل نسبيا مقارنة ببعض الدول، طريقة مكنتها من احتواء الأزمة وتقليل الخسائر البشرية.

وما هي انعكاسات وتأثيرات كورونا على موازين القوى الدولية الراهنة؟ وما هي تداعياتها على التكتلات الإقليمية كالاتحاد الأوروبي؟ وما هي انعكاساتها على بعض الملفات الإقليمية الحيوية كملف الصحراء؟ وكيف ستؤثر هذه الجائحة على الانتخابات الأمريكية القادمة خاصة وأن الديمقراطيون حسموا مبكرا هوية مرشحهم لمنافسة ترامب؟



المحور الأول: الاتحادات والدولة الوطنية في ظل الجائحة

لقد عاش العالم مرحلة استثنائية ودقيقة بسبب تفشي جائحة كورونا في جميع القارات، ويكاد يكون القاسم المشترك بين ثلثي سكان الأرض خلال مرحلة تدبير الوباء، هو المكوث في المنزل واتخاذ أقصى تدابير السلامة والنظافة الصحية، لاسيما وأن إيجاد لقاح أو دواء خاص بهذا الفيروس لا يزال يحتاج إلى وقت طويل، رغم مباشرة مجموعة من المختبرات في الصين وأمريكا وألمانيا الاختبارات السريرية والتجريبية.

ومن الملاحظ خلال هذه المرحلة، أن ثمة ما يحتاج إلى التدقيق والمراجعة، لاسيما فيما يتعلق بالهالة التي أعطيت سابقاً للتكتلات أو الاتحادات مقابل تبخيس والتقليل من شأن الدولة الوطنية، إذ كشفت الجائحة العكس، وعرت عن زيف الادعاءات وعدم صوابية بعض الأحكام والخلاصات، خاصة على مستوى علاقة بالأفراد بالدولة، حيث أعاد وباء كورونا للدولة الوطنية هيبتها وبريقها وكرس مركزيتها بالشكل اليعقوبي، بعد أن دأبت العولمة على طمس مفهوم السيادة والتشويش على ملامح الدولة الوطنية والمناداة بالهوية العالمية ضمن إطار القرية الكونية؛ لكن جدار العولمة أصابه كثير من التصدع من قبل الراعي الرسمي والمستفيد الأكبر منه (الولايات المتحدة الأمريكية)، عبر السياسات الحمائية التي تقوم بها الإدارة الأمريكية بين مدة وأخرى على منتوجاتها الوطنية، إلى أن جاء هذا الوباء الغامض ليهز الأسس التي تقوم عليها العولمة⁶.

وقد تراجع مفهوم الدولة الوطنية/المركزية في السابق أمام إكراهات وتعقيدات ما بات يعرف في الدراسات الاقتصادية بإشكالية "تدبير الندرة"، نتيجة الارتفاع المهول للاحتياجات والمطالب الشعبية وفشل بيروقراطية الإدارة في ضبط واحتواء هذا الاختلال المطرد، لاسيما وأن تراجع دور الدولة الوظيفية الاجتماعية/الخدمائية جاء مصاحباً أو متزامناً مع بروز مفاهيم ونظريات تؤسس للدولة ما بعد الوطنية.

وتأسيساً على ذلك، ظهرت مجموعة من النظريات التفسيرية Théories de l'intégration internationale régionale حول مسار الاتحاد الأوروبي تحت ما يعرف باسم نظريات الاندماج الإقليمي. هذه النظريات التي أنشئت لتفسير عملية الاندماج ما بين الدول المختلفة من حيث العوامل والدوافع. ونظرية الاندماج الإقليمي بشكلها الحديث لم تتطور إلا مع تطور حركية الوحدة الأوروبية. وتنقسم نظريات الاندماج الإقليمي إلى نوعين:

✓ الأولى، ظهرت في إطار علم السياسة وتسمى النظريات السياسية للاندماج

✓ والثانية، ظهرت في إطار علم الاقتصاد، وتسمى النظريات الاقتصادية للاندماج

أولاً، النظرية الفدرالية: تركز على تطبيق نموذج الدولة الفدرالية على المستوى الدولي، أي انخرط الدول الأعضاء في عملية الاندماج.

ثانياً، النظرية الوظيفية: ترتبط هذه النظريات بإسهامات ديفيد ميتزاني والذي قعد لأطروحة الاندماج والخيار الوظيفي⁷.

⁶- محمد كاظم المعيني، "جائحة كورونا.. وأزمة النظام العالمي الجديد"، مركز البيان للدراسات والتخطيط" نشر بتاريخ 2020/04/11 على موقع المركز: <https://bit.ly/2UOSzin>

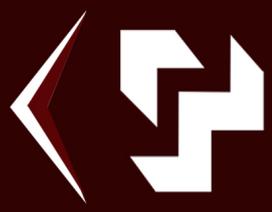
⁷- توجد مجموعة من النظريات أهمها:

-النظرية الوظيفية الجديدة وتحليل البناء الاجتماعي

-نظريات تحليل التكامل الدولي

راجع:

كريب إبان، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة محمد حسن غلوم، عالم المعرفة، الكويت، العدد 244. سنة 1999.



وتقوم هذه الفكرة على ضرورة الفصل بين الجوانب السياسية والجوانب الوظيفية في عملية الاندماج، والتركيز على الاندماج الوظيفي في القطاعات المختلفة (انهيار عصبة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى مقابل استمرار منظمة العمل الدولية).

النظرية الوظيفية/الوظائفية في تطبيقها حسب ما يوضح طارحها ديفيد ميتراي تركز على عدة مراحل هي:

- المرحلة الأولى، تسمى ببذرة التقارب الاقتصادي، حينما يظهر التقارب الاقتصادي في مجال تجاري معين عن طريق رجال الأعمال والتجار من كلا الدولتين.

- المرحلة لثانية، تسمى بعملية التفرع التجاري، خلال هذه المرحلة ينتقل التقارب الاقتصادي إلى مجالات تجارية أخرى وتوسيع التبادل التجاري ليشمل مختلف المجالات.

- المرحلة الثالثة، تسمى مرحلة الاتفاقية التجارية، تطور التبادل التجاري يستدعي التدخل تنظيمه بشكل قانوني من خلال عقد وتوقيع اتفاقية اقتصادية رسمية من كلا الأطراف.

المرحلة الرابعة، إن احترام والسهر على تنزيل وتطبيق الاتفاقية يتطلب خلق كيانات أو منظمات اقتصادية هدفها تتبع وتنسيق الأعمال والمبادلات.

وعليه، يرى ميتراي تبعا لهذه النظرية، أن تقوية العلاقات الاقتصادية بين الدول وتطويرها، يجعل تلك الدول مع مرور الوقت مرتبطة ومتصلة ببعضهما بشكل مؤسسي، إلا أرندست هانس انتقد هذه النظرية من خلال نظريته الوظيفية الجديدة.

ثالثا، النظرية الوظيفية الجديدة: يعتبر "أرنست هاس" من أبرز منظري هذه النظرية، حيث رفض وأنتقد أفكار ميتراي بشأن الوظيفية، خاصة فيما يتعلق بالفصل بين الأمور السياسية والتقنية أو الفنية.

قدم "هاس" مفهوما جديدا هو مفهوم "الانتشار" لتفسير التداخل بين عملية الاندماج الفني والاندماج السياسي، حيث يرى أن الاندماج في القطاعات الفنية والوظيفية سيؤدي مع مرور الوقت إلى انتشار عملية الاندماج بشكل حتمي وتدرجي إلى أن يمتد إلى مجالات أخرى بما فيها المجال السياسي.

رابعا، نظريات الاندماج الاقتصادي: ظهرت هذه النظريات مع تطور العلاقات الاقتصادية، وكبديل عن النظريات السياسية، لاسيما بعد توقف الحروب واستقرار منطقة أوروبا⁸.

- عامر مصباح، نظريات تحليل التكامل الدولي، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2008.

- جيمس دورتي، روبرت بالاستغراف، النظريات المتضاربة في العالقات الدولية، ترجمة: وليد عبد الحي، كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، (1891).

- عبد الناصر جندي، التنظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية والنظرية التكوينية، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

- جون بيليس و ستيف سميث، عولمة السياسة العالمية، ترجمة ونشر مركز الخليج للأبحاث، دبي، 2004.

-Pierre de senarclens, la politique internationale, paris : Armand colin,1992

-King Preston, Federalism and Federation (London: Croom Helm, 1982)

-Lindberg Leon, The Political Dynamics of European Economic Integration (Stanford: stanford university press, 1963)

-Mitrany David (ed), The Functional Theory of Politics (London School of Economics & Political Science: Martin Robertson, 1975).

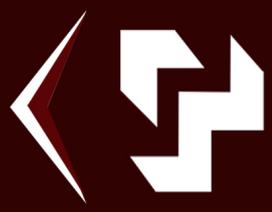
-Beach Derek, The Dynamics of European Integration: Why and when EU institutions matter (Basingstoke: Palgrave Macmillan, 2005),

⁸-راجع في هذا الإطار:

-Alfredo Suarez ; Intégration régionale, Hachette,2009

-Les processus d'intégration régionale, vecteurs de recomposition du système international ?

<https://www.erudit.org/en/journals/ei/1997-v28-n3-ei3070/703774ar.pdf>



وقد صار منطق التكتلات والتجمعات الاقتصادية، ومفاهيم الاندماج أكثر طلباً وإغراءً للدول في صراعها اليومي والروتيني مع إكراهات التدبير والتسيير، وباتت الدولة الوطنية في شكلها الكلاسيكي الأول متجاوزة، وغدت الدولة الدركية/البوليسية التي وظيفتها محصورة في الأمن وحماية الحدود عنوان الفشل والتخلف.

إن الانتقال من الدولة الدركية/البوليسية إلى الدولة الوظيفية/الخدمائية وصولاً إلى الدولة فوق الوطنية سواء من خلال الاندماج ضمن التكتلات الاقتصادية الإقليمية كالاتحاد الأوروبي، أو الاندماج ضمن الاتحادات/الفيدرالية مثل أمريكا وألمانيا، أملت خلفيات وظروف تاريخية، وفرضته حسابات السياسة والاقتصاد، وغدت معها هذه التكتلات والمفاهيم الليبرالية مقرونة بالتقدم والازدهار نتيجة ما تحقق من رفاهية الفرد، وما تتيحه من حريات وحقوق فردية وجماعية، مقابل اقتران الدولة الوطنية المركزية اليعقوبية بالتخلف والضعف على كافة المستويات.

من جانب آخر، قد يكون من السابق لأوانه، التنبؤ بشكل متسرع، والإقرار والجزم بانحدار وتراجع أو فشل المفاهيم الليبرالية التي سادت حول وظائف وأشكال الدول، لاسيما وأن ارتباط الفرد بالدولة خلال الفترات الصعبة التي يسود فيها الخوف، يعتبر أمراً عادياً، سواء أثناء الحرب أو المجاعة أو مع انتشار الأوبئة والأمراض الأكثر فتكا وخطورة.

ولفهم واستقراء محورية ومركزية الدولة في تاريخ الجماعة البشرية، يمكن استدعاء واستحضار بعض النظريات التي عالجت نشوء الدولة كمتجمع سياسي منظم، إذ تأتي نظرية التطور الطبيعي في طليعة النظريات التي تفسر حاجة الإنسان إلى الجماعة، وتذهب هذه النظرية إلى أن الأصل في نشوء الدولة هي الأسرة البسيطة التي تطورت إلى أسرة كبيرة، تم بشكل تدريجي إلى قبيلة أو قرية، وبفضل عوامل الاستقرار الحضري تتحول إلى دولة، ويعتبر أرسطو باعتباره من أبرز منظري هذه النظرية، أن الإنسان حيوان سياسي واجتماعي، فهو يرى أن الدولة نتاج طبيعي لغريزة الاجتماع الموجودة لدى الإنسان والتي تدفعه إلى العيش مع الآخرين.

أما نظرية العقد الاجتماعي⁹، فقد جاءت هذه في خضم تطوع ونضال البورجوازية لإقامة مؤسسات سياسية بديلة للسلطة الملكية المطلقة المستندة على الحق الإلهي. وقامت هذه النظرية على أساس وجود عقد اجتماعي مبرم بين البشر، يقيم سلطة سياسية من صنع الإنسان وليس من تفويض الإله، وذلك، بغية الخروج من "مجتمع الفوضى" إلى "المجتمع المنظم"، هذه النظرية، تزعمها ثلاثة مفكرين هم: توماس هوبز، وجون لوك، وجان جاك روسو في كتابه "العقد الاجتماعي". هيمنت هذه النظرية بين القرنين السادس والثامن عشر، واختلف المفكرون الثلاث في طبيعة العقد الاجتماعي وشروطه.

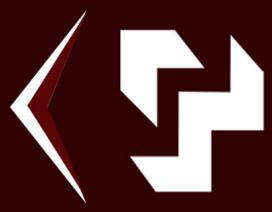
أما النظرية الماركسية فهي تأسست على مجموع الأفكار القائمة على المادية التاريخية والجدلية، إذ يرى أصحاب هذه النظرية أن الصراع الطبقي هو سبب تطور المجتمعات، ودافع عن هذه النظرية العديد من المفكرين: كارل ماركس، أنجلز، لينين.

⁹ مفهوم العقد الاجتماعي إلى أحد المصطلحات في الفلسفة السياسية، وهو عبارة عن اتفاق يتم بشكل افتراضي أو فعلي بين طرفين، بما في ذلك الحكام والمحكومين، ووفقاً لهذا العقد الاجتماعي يتم تحديد كافة الحقوق والواجبات المترتبة على كل طرف من هذه الأطراف من أجل إحداث حالة من التكامل في المجتمع. ويعتبر كتاب «العقد الاجتماعي» للفيلسوف الكبير جان جاك روسو أحد أهم النظريات الفكرية التي كُتبت في عصر النهضة والتنوير في الغرب، فبعد سقوط الشرعية الدينية كأساس للحكم في أوروبا، أصبح من الضروري البحث عن شرعية بديلة يقوم عليها الحكم السياسي وتتحدد على أساسها مسؤوليات الحاكم والمحكوم، والواجبات والحقوق المترتبة على كل منهم. لذلك ظهر العديد من المفكرين والفلاسفة الذين عملوا على إيجاد ميثاق شرعي جديد يحكم العلاقة بين الطرفين، وكان من بين هؤلاء المفكرين الذين سعوا لإيجاد هذا الميثاق جان جاك روسو الذي طرح فكرة العقد الاجتماعي إلى جانب مجموعة أخرى من المفكرين التنويريين أمثال توماس هوبز وجون لوك.

راجع:

Jean-Jacques,Rousseau "Du contrat Social ou des Principes du droit Politique", éditions sociales 1983

Thomas hobbes. Le leviathan. Traduit par francostricaud. éditionssierry. Paris 1971



ويتمثل جوهر هذه النظرية في أن الدولة، هي نتاج الصراع الطبقي، وأنها لم تظهر إلا مع ظهور الملكية الخاصة، وتقسيم العمل بين من يملك ومن لا يملك، فبي بحسب هذه النظرية جهاز لخدمة الطبقات المسيطرة، وأداة الطبقة البورجوازية للسيطرة على الطبقة البروليتاريا.

إن عملية استقرار وتفكيك المفاهيم والنظريات التاريخية التي عالجت مفهوم الدولة، يساعد على فهم التحولات واختبار مدى نجاعة وصلابة المفاهيم الليبرالية التي أسست للدولة ما بعد الوطنية من خلال عوالة قيم اقتصاد السوق ورفع الحواجز الجمركية ودفع الدولة إلى التراجع أو الانسحاب ورفعها يدها عن المؤسسات الاجتماعية الحيوية كالصحة والتعليم وقطاع الخدمات الأساسية.

إذ كشفت جائحة كورونا عن نقائص أو ثغرات بنيوية وقيمية باتت تعترى النظام الليبرالي بنسقه وشكله الراهن، بعدما شكل هذا النظام في ما مضى، التجسيد الوحيد لقيم التنوير والحداثة والحرية ورفاهية الإنسان.

إن نجاعة وسرعة تحرك الدولة الوطنية لاحتواء جائحة كورونا، يستدعي التأمل والاهتمام، إذ شكل النموذج المغربي وما خلفه من تلاحم بين الدولة والأفراد، وما صاحبه من انتشارا لقيم المواطنة والتآخي والتكافل رغم فظاعة "ندرة الموارد"، نقطة تحول أساسية على مستوى التوصيفات الجاهزة للنظم والدول والتكتلات، حيث عرت أزمة كورونا عن هشاشة بعض الأنظمة الليبرالية التي كانت تتشدد بمركزية وقدسسية الفرد داخل المنظومة الغربية، حيث غدا هذا الفرد/المواطن مجرد صوت انتخابي يمكن التعامل معه وفق آليات معينة.

وفي هذا الإطار، كما اعتبر المفكر الأمريكي نعوم تشومسكي أن ما أسماه "الطاعون النيوليبرالي" وراء عرقلة مواجهة وباء كورونا المستجد "كوفيد-19"، مشيرا إلى أن العالم بعد كورونا سيكون أمام دول أكثر استبدادية أو إعادة بناء المجتمع بشروط إنسانية¹⁰.

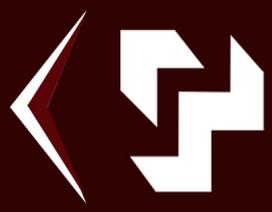
إنها حقائق ومشاهد صارت مكشوفة، سواء من خلال تعاطي رئيس الوزير البريطاني جونسون مع قطيعه (نظرية مناعة القطيع)¹¹ بمنطق لا حياة لمن لا مناعة له، أو من خلال إصرار الرئيس ترامي على فتح الأسواق والمحلات مخافة تدهور الاقتصاد في الوقت الذي تخطت عتبة الإصابة بوباء كورونا في أمريكا المليونين. أما، أوروبا، فغدت مجرد دول معزولة عن بعضها البعض،

¹⁰-نعوم تشومسكي أستاذ اللسانيات الفخري في معهد ماساتشوستس، وصاحب أكثر من 100 مؤلف، صنف في المرتبة الثامنة لأكثر المراجع التي يمكن الاستشهاد بها على الإطلاق على مدى التاريخ، وتضم كارل ماركس ولينين وغيرهما، والذي صوت له بالإجماع سنة 2005 كأبرز شخصية ثقافية في العالم، الرجل الذي يعد أب اللسانيات الحديثة، ومؤسس النحو التوليدي، والذي سميت باسمه عديد الفتوحات العلمية، منها: «تراتب تشومسكي»، و«نظرية تشومسكي شوتز نرغر»، والذي يعد من مؤسسي نظرية البروباغندا السياسية والإعلامية مع إدوارد هيرماس. راجع مضمون حوار مع قناة "DiEM 25" بخصوص وباء كورونا على الرابط التالي:

<https://bit.ly/2MY8NBu>

¹¹-دافع عن "مناعة القطيع" رئيس الوزراء البريطاني قبل أن يتراجعا عنها تحت ضغط المعارضة، كما انتقد مدير الطوارئ في منظمة الصحة العالمية، الدكتور مايك رايان، نداءات بعض المختصين لمواجهة فيروس كورونا المستجد من خلال ما يعرف بـ"مناعة القطيع" التي تقتضي ترك الفيروس ينتشر بين الناس في حدود معينة بهدف تقوية المناعة البشرية ضده. وقال رايان "البشر ليسوا قطعانا." مناعة القطيع هو مفهوم في علم الأوبئة يصف كيف يمكن للناس بشكل جماعي أن يقوا أنفسهم من العدوى إذا كان لدى نسبة معينة من السكان مناعة ضد المرض. لكن مناعة القطيع فيما يتعلق بالفيروس التاجي بعيدة عن الواقع، خاصة بدون لقاح. وقال رايان إن مصطلح "مناعة القطيع" نابع من علم الأوبئة البيطرية، وعادة ما ينطوي على قرارات تجارية حول ما إذا كان ينبغي ترك الحيوانات تموت من أجل صحة القطيع بشكل عام.

راجع: "هل يمكن لمناعة القطيع أن تضع حدا لتفشي فيروس كورونا؟.. مختصون يوضحون الشروط"، موقع الحرة، على الرابط التالي <https://arbne.ws/3d5GATY>:



وأبعد ما تكون إلى الاتحاد واقعا وحقيقة، إذ ظهر بشكل لافت عجز واهتزاز هذا الاتحاد عن مجاراة سرعة إيقاع فيروس غير مرئي، على الأقل عبر إبداء ولو قليلا من قيم التضامن والتعاون.

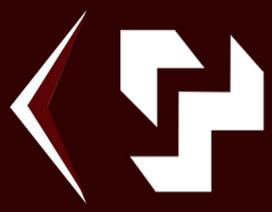
وبدا جليا كذلك، أن الاتحاد الأوروبي صار جزءا من التاريخ، بعد إغلاق حدود الدول، وتوقيف حركية التنقل وإغلاق المطارات والموانئ والقطارات.. حيث اكتفت معظم الدول بالفرجة والمشاهدة عندما كانت إيطاليا تحصي مواتها، بل لم تجد من يساعدها غير خصوم أوروبا التاريخيين والمفترضين كالصين وروسيا¹².

أزمة أوروبا اليوم هي أزمة الدولة ما بعد الوطنية، وقد سبق وأن عبر عن هذه الأزمة الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس، عندما لاحظ أن الدولة الغربية الليبرالية تعيش أزمة غير مسبقة منذ تشكلها، وتكمن في الانفصام القائم بين مكوناتها القومي (تماهي الدولة والأمة) ومكوناتها السياسي والإجرائي (مبدأ المواطنة الشاملة).

عطفا على كل ما سبق، إذا كان النموذج التعاقدية الليبرالي قادرا على استيعاب التعددية الثقافية والاجتماعية، وتحقيق بعض النجاحات الاقتصادية، فإنه بدا عاجزا عن بناء تكتلات تستطيع تجاوز وإقبار مفهوم الدولة الوطنية بمفهومها الكلاسيكي الأول، حيث كشفت جائحة كورونا عن أن رهان حماية الأرواح والممتلكات الذي ارتبط بالانتقال من حالة الطبيعة إلى المجتمع المنظم، سيدفع في اتجاه إعادة النظر في المفاهيم الليبرالية التسويقية التي تجاوزت الفرد بعدما صارت أداة لخدمة المؤسسات الكبرى وأصحاب المصالح (البورصات، الشركات..).

¹²L'Union européenne et le coronavirus, Question d'Europe n°553. La Fondation Robert Schuman

[/https://bit.ly/2C35uGS](https://bit.ly/2C35uGS)



المحور الثاني: الجائحة والتداعيات الجيوسياسية المحتملة

عاشت دول العالم لحظة استثنائية وعصبية وحساسة بسبب تفشي وباء كوفيد-19، لحظة عنوانها الاضطراب والفوضى والارتباك، إذ عرت هذه الجائحة عن أوجه القصور في النظام العالمي الراهن، حيث كشفت عن زيف السرديات التاريخية والكليشيات الجاهزة التي كان يتغنى بها، ويردها الجميع بنوع من القدسية والسذاجة، عندما يتم الحديث عن أسطورة وقوة النظام الليبرالي الذي أفرزته الثورة الصناعية والتكنولوجية واقتصاد السوق ومبادئ وقيم العولمة.

لقد كشف الوباء عن جوانب ومظاهر عديدة قد تكون عصبية على الفهم والتفسير والإدراك في الوقت الراهن، مشاهد دراماتيكية تنذر بنتائج مأزومة وسيناريوهات متعددة، تعيد إلى الأذهان عصور الأوبئة والكوارث التي أبادت أمما وشعوبا خلال قرون خلت، حيث بسبب هذه الجائحة، تخطى عدد الإصابات والوفيات ما لم يكن في الحسبان¹³.

كارثة إنسانية عرفتها مختلف أنحاء المعمور، خلفت خسائر جسيمة في الأرواح والأنظمة الاقتصادية والاجتماعية لمختلف الدول، لكن اللافت هو أن هذه الكارثة/ الأزمة بدت معها بعض الأنظمة الاقتصادية والصحية لدول "العالم المتحضر" قاب قوسين أو أدنى من الانهيار، وأهت معها كذلك سطوة أو أسطورة "التفوق الغربي" التي سادت قرابة نصف قرن.

إن الحديث عن تداعيات وانعكاسات هذه الجائحة على خريطة التوازنات وموازين القوى داخل النظام العالمي الراهن ليس ترفا فكريا أو من ضروب التنجيم، إذ بحسب مجلة فورن بوليسي الأمريكية التي نشرت توقعات بتاريخ 2020/3/20 لما يقارب 12 مفكرا وخبيرا حول مستقبل العالم ما بعد كورونا، خلاصات أقرت في مجملها أن العالم سيصبح أقل انفتاحا وأقل ازدهارا وأقل حرية¹⁴.

لذلك، فالنقاش حول نتائج هذه الجائحة لم يعد محصورا في تشخيص ومعالجة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والاستشفائية والنفسية التي خلفها الوباء؛ بل بات يستوجب ويتطلب ضرورة التفكير ومحاولة استشراف شكل وطبيعة النظام العالمي الجديد، ورسم معالمه الجديدة من خلال وضع بعض السيناريوهات المحتملة موضع الدراسة والتحليل.

وفي سياق دراسة تداعيات هذه الجائحة، ومحاولة استشراف نتائج المتغيرات والتطورات المحتملة، يمكن القول إن خريطة التحالفات والمصالح ومواقع الدول بعد هذا الوباء معرضة للاهتزاز والتحول¹⁵؛ مما سينعكس دون شك على إدارة مجموعة من الملفات والأزمات الدولية التي طفت على السطح لسنوات، خاصة القضايا والملفات التي تم تدويلها، وتعتبر من حيث طبيعتها وتعقيدها امتدادا بشكل أو آخر لصراع المصالح والنفوذ بين القوى الدولية.

وارتباطا بهذا الجانب، ملفات عديدة إقليمية وحيوية من المحتمل أن تتأثر بالجائحة التي ضربت معظم دول العالم، فمستقبل الاتحاد الأوروبي على المحك، لاسيما في ظل الإشكالات والصعوبات التي باتت تعترى هذا الاتحاد، بالإضافة إلى النزاع حول الصحراء الذي يعتبر من بين الملفات الشائكة والمعقدة التي من المحتمل أن تتأثر كذلك بتداعيات فيروس كوفيد 19، إذ من

¹³- بلغ عدد الإصابات في العالم ما يقارب : 6637519، والوفيات : 392090

المصدر: جامعة جونز هوبكنز، والمؤسسات الصحية الوطنية

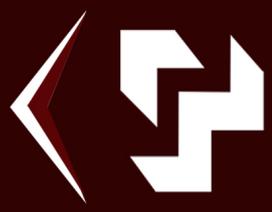
آخر تحديث للبيانات 5 يونيو 2020 6:54 م غرينتش+3

¹⁴-لتحميل هذا العدد من مجلة فورين بوليسي الصادر بتاريخ 2020/03/20 على الرابط التالي:

<https://bit.ly/37uLjxo>

¹⁵- في الصدد أصدرت مجلة فورين بوليسي ملف خاص عن انحسار العولمة بسبب جائحة كورونا، وتراجع النفوذ الأمريكي لصالح قوى جديدة كالصين، الملف صدر بتاريخ 12 ماي 2020، وللإطلاع على هذا العدد على الرابط التالي:

<https://bit.ly/3e7tert>



المتوقع أن يجد المغرب نفسه أمام تحديات كبرى تضاف إلى التحديات الاقتصادية الكبرى، فالتحولات الجيوسياسية المرتقبة بدأت ترخي بظلالها على التوازنات المرتبطة بقضية الوحدة الترابية، لاسيما أن مختلف السيناريوهات تدفع في اتجاه وقوع تحولات غير عادية ودراماتيكية خاصة في بعض المناطق والعواصم المؤثرة.

وفي هذا الإطار، فتأثر الرقعتين الأمريكية والأوروبية بوباء كورونا ظهر جليا تارة بشكل مهول ومفجع، وتارة أخرى بشكل منفلت وغامض، مما يؤثر على أن هذا الوضع سينعكس على مستقبل قادة بعض الدول، وحتى مكانة بعض الكيانات وموازين القوى التي تدار من خلالها مجموعة من الملفات الحيوية والإستراتيجية، كملف الصحراء، إذ تعتبر كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي، القوتين الغريبتين المؤثرتين في مسار النزاع حول الصحراء، إن على مستوى مجلس الأمن أو على مستوى الفضاء الأوروبي ومؤسساته السياسية والبرلمانية والقضائية.

على المستوى الأمريكي، فالرئيس ترامب بدا عاجزا مترددا ومتخبطا، يترنح بين مطرقة ارتفاع عدد الوفيات وصعوبة توفير الاستشفاء للأعداد الكبيرة من الأمريكيين وسندان الركود الاقتصادي وارتفاع عدد العاطلين¹⁶، وإنهيار البورصة، مع انكشاف ضعف البنية التحتية الصحية الأمريكية، وفقدان مئات الآلاف من الأمريكيين وظائفهم، في حين بنى "ترامب" شعبيته وسياسته على تحقيق الازدهار الاقتصادي لبلاده.

هذا، فلم يكد ترامب يستجمع أنفاسه بعدما أنهكته الجائحة ونتائجها الاقتصادية، حتى جاءه الخبر غير السار، إذ حسم الديمقراطيون بشكل مبكرا ترشيح جو بايدن لمنافسته بعد انسحاب ساندرز يوم 08 خلال شهر أبريل سنة 2020.

إن ترشح الديمقراطي بايدين، الذي عمل نائبا للرئيس السابق بارك أوباما، في ظل الأزمة الوبائية والاقتصادية التي تعاني منها أمريكا، وبالموازاة مع انخفاض أسعار النفط عالميا، أعاد التنافس إلى نقطة الصفر، بعدما أظهرت -الجائحة- بأن الإنجازات والفتوحات السابقة للرئيس الحالي مجرد ذكرى من التاريخ القريب.

وارتباطا بملف الصحراء، ففشل ترمب في إدارة واحتواء تداعيات تفشي الوباء سيؤثر دون شك على حظوظه في تجديد ولايته للمرة الثانية؛ مما يعني أن المغرب سيجد نفسه مطالبا بترويض الإدارة الديمقراطية الجديدة، بعد أن تمكن خلال السنة الأخيرة من ولاية ترامب أن يفك شفرة البيت الأبيض ويلين مواقفه بعد ثلاث سنوات عجاف مع هذه الإدارة.

إن اختراق المغرب لإدارة ترامب، خلال السنة الأخيرة من ولايته، مكنه من تحقيق مجموعة من المكاسب في إدارة قضية وحدته الترابية على المستوى الاممي، إذ مرت سنة على استقالة كولر في ماي 2019، ولم يعين مبعوث جديد رغم ضغوطات وتحركات خصوم المملكة¹⁷، بل عاد ملف النزاع إلى نقطة الصفر وصار ثانويا على أجندة مجلس الأمن، مما يعني أن وضعية الجمود هاته تنذر بإمكانية وقوع انفلات أو انفجار في مخيمات تندوف.

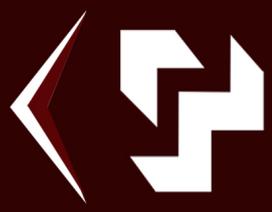
هذا، بالإضافة إلى احتمال تراجع النفوذ الأمريكي لصالح قوى جديدة، لاسيما أن جل التكهينات تؤضر على أن العالم في المرحلة الراهنة يعيش مخاض الانتقال من العولمة التي تتمحور حول أمريكا إلى العولمة التي تتمحور حول الصين. ما يعطي مؤشرا

¹⁶ - كشفت بيانات أمريكية عن زيادة في عدد العاطلين عن العمل في الولايات المتحدة في ظل الضغوطات التي يتعرض لها الاقتصاد بسبب جائحة كورونا، وإجراءات العزل للحد من انتشار الفيروس. وقالت وزارة العمل الأمريكية، إن ما يقرب من 3 ملايين عامل تقدموا خلال الأسبوع امن شهر ماي من هذه السنة للحصول على إعانات البطالة في البلاد. وبذلك يرتفع عدد المتقدمين للحصول على الإعانة منذ بداية جائحة كورونا إلى 36 مليون أمريكي. وتشير التقديرات إلى بلوغ البطالة في أمريكا نسبة 20 في المائة. راجع موقع DW على الرابط التالي:

<https://bit.ly/2N22EUQ>

¹⁷ - محمد الزهراوي، "لماذا لم يعين مبعوث خاص بالصحراء؟"، موقع لكم، 2 نشر بتاريخ 18 ماي 2020، على الرابط التالي:

<https://bit.ly/3ft2F0q>



جديداً آخر لانتقال القوة نحو الشرق وتبني نمط جديد من العلاقات الاقتصادية والدبلوماسية تتمحور حول الصين، فالشعب الأمريكي فقد ثقته بإدارته وتزعزع إيمانه بالأسماالية المتوحشة، وهذا ما أكده أستاذ العلوم السياسية في جامعة برينستون "جون إيكينبري" بأن "الديمقراطيات الغربية ستخرج من قوقعتها وتحاول البحث عن نماذج أكثر أماناً للتعاون المشترك"¹⁸.

أما على المستوى الأوروبي، فقد بدت مؤسسات وأجهزة هذا الاتحاد المتعددة عاجزة ورخوة بسبب بروز خلافات حادة حول الوضع الاقتصادي والمالي بين دول الاتحاد الأوروبي بسبب الجائحة، بعد أن طالبت إيطاليا وفرنسا وإسبانيا، وهي الدول الأكثر تضرراً من الفيروس في أوروبا، كل من ألمانيا والنمسا وهولندا بالموافقة على إصدار "سندات كورونا"، لمساعدة دول التكتل الأكثر تأثراً بالوباء على تمويل جهودها لدرء التداعيات الاقتصادية السلبية لهذا الوباء؛ غير أن هذا الطلب قوبل بالرفض بدعوى الخوف من التشارك في الديون السيادية.

وبالإضافة إلى إغلاق الحدود داخل هذا الفضاء، فلم يتوقف الأمر عند هذا الحد، وإنما أقرت العديد من الدول خاصة ألمانيا وفرنسا مجموعة من الإجراءات الصارمة لحماية مواردها الغذائية والطبية، حيث منعت تصديرها وتجاهلت طلبات الإغاثة من العديد من الدول المتضررة كإيطاليا وصربيا.

أما شكل ومستقبل الاتحاد، فتصريح المستشار الألمانية للصحافيين، قبيل مؤتمر لوزراء مالية منطقة اليورو خلال الازمة بهدف الإعداد لخطة إنقاذ اقتصاد التكتل، جاء صريحاً ومعبراً عن واقع الاتحاد، حيث أقرت بأنه "يواجه أكبر اختبار له منذ تأسيسه".

من المؤكد أن الاتحاد في هذه المرحلة يعيش مخاض التحول أو التفكك بحسب الفرضيات الأكثر تشاؤماً؛ لكن تظل كافة السيناريوهات مفتوحة، حيث من المحتمل والراجح بحسب المؤشرات الاقتصادية والمزاج العام الشعبي أن يتعرض هذا الاتحاد لتحولات كبرى، لاسيما على مستويين، الاقتصادي والسياسي.

كما أن تداعيات وانعكاسات هذا الوباء على وضعية الأفراد نفسياً واجتماعياً قد تشكل ورقة انتخابية رابحة في الشهور والسنوات المقبلة، حيث مع صعود اليمين المتطرف أو التيارات الشعبوية في بعض البلدان الأوربية كإيطاليا وألمانيا من المحتمل أن يؤدي إلى وقوع تحولات بنيوية عميقة قد تمس وحدة واستمرارية الاتحاد¹⁹.

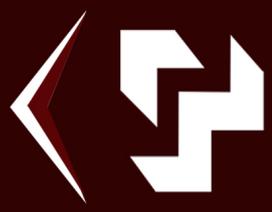
في إيطاليا، صارت شروط الخروج من الاتحاد مواتية على الأقل شعبياً وفي المخيال العام؛ فمشهد إحراق علم الاتحاد الأوروبي خلال شهر مارس 2020 يعبر عن مشاعر السخط والغضب على هذا الكيان، حيث بات الإيطاليون وفق السياقات والظروف التي عرفتها البلاد بسبب الجائحة وما سببته من معاناة ومأس ينظرون إلى هذا التكتل الأوروبي كإطار فارغ بدون روح.

من جانب آخر، فحسابات الساسة وشوفينيتهم ستجعل من مشروع أو مطلب الخروج من الاتحاد بالنسبة لإيطاليا في ظل وجود حاضنة شعبية في مختلف الأوساط أحد السيناريوهات المحتملة إذا ما تم استحضار كذلك التدخلات الناعمة الروسية والصينية.

أما ألمانيا، فتكرار السيناريو البريطاني ممكن بحسب الموازنة والمفاضلة بين أوجه الاستفادة من عدمها، وبالنظر إلى براغماتية وقوة الماكينة الألمانية، فلا شك في أن ما بعد كورونا سيكون مختلفاً عما قبلها، موقعا ونفودا، حيث من المؤكد أن

¹⁸- G. John Ikenberry, How the World Will Look After the Coronavirus Pandemic, PredictionpaperForeign Policy, 20 March 2020.

¹⁹- حاول الفيلسوف الألماني هابر ماس أن يفسر هذه النزعة، حيث أشار إلى أن "آثار شعبية اليمين التي تدعو في كل أنحاء الاتحاد الأوربي إلى التمرس خلف الحدود القومية، تنعكس في المقاوم الأول في أمرين: الغضب الناجم عن حقيقة أن الدولة القومية فقدت قدرتها على الفعل السياسي، ونوع من رد الفعل الدفاعي الحدسي في مواجهة التحدي السياسي الحقيقي" راجع نص الحوار، المرجع السابق.



استمرار هذه الدولة داخل الفضاء الأوروبي بات مشروطا بالتموقع بشكل أفضل سواء من خلال قيادة الاتحاد وفق أسس وشروط جديدة، أو من خلال محاولة استثمار التحولات الراهنة للحصول على العضوية الدائمة داخل مجلس الأمن.

أما فرنسا، الحليف التقليدي للمملكة، فهي تحتاج إلى وقت كبير لإعادة ترتيب أوراقها داخليا سواء اقتصاديا وسياسيا وعلى مستوى الاتحاد الأوروبي وحتى على المستوى الدولي، حيث قررت أواخر شهر مارس 2020 أن تسحب جنودها المنتشرين في العراق، والبالغ عددهم حوالي 200 جندي.

تسببت الجائحة اقتصاديا في توقف عجلة النمو في مختلف المجالات، مما دفع وزير الاقتصاد والمالية الفرنسي إلى القول إن بلاده تتجه نحو أسوأ تراجع اقتصادي منذ الحرب العالمية الثانية، وأن نسبة نمو الاقتصاد الفرنسي هذه السنة سيكون أدنى من 1%، فيما كان متوقعا أن تبلغ 1.3% قبل أزمة الفيروس.

إن عملية جرد واستقراء مختلف التحولات والأحداث التي عاشتها أوروبا خلال النصف الأول من السنة الجارية، وما خلفته جائحة كورونا على الفضاء الأوروبي، مؤسساتيا واقتصاديا وسياسيا، يجعل من إقناع بعض الدول في مواصلة عضويتها في الاتحاد رهنا صعبا في ظل صعود التيارات اليمينية التي كانت تعادي وترفض الاندماج في الاتحاد الأوروبي لأسباب سياسية واقتصادية وثقافية وعرقية.

وإن كانت الشروط الداخلية من المحتمل أن تلعب دورا مهما في تفكك الاتحاد بعد أزمة كورونا، إلا أن العوامل الخارجية لا تقل أهمية، خاصة سعي روسيا إلى استرجاع أمجاد الماضي ومحاولة السيطرة على أوروبا الشرقية، هذا، بالإضافة إلى محاولة الصين اختراق الأسواق الأوروبية وسعيها المستمر إلى ضرب الوحدة الاقتصادية للاتحاد.

أمام هذه السيناريوهات، وارتباطا بقضية الصحراء، فضعف الاتحاد الأوروبي أو احتمال تفككه من المتوقع أن يؤثر سلبا على الطريقة التي يدير بها المغرب تعقيدات ومسارات النزاع، لاسيما أن المملكة المغربية تتعامل تجاريا واقتصاديا وسياسيا مع الفضاء الأوروبي ككيان موحد من خلال أجهزته ومؤسساته.

استشرافا واستباقا، فإن سيناريو تفكك الاتحاد الأوروبي وإن كان مستبعدا أو قائما بعد هذه الجائحة، لكن تحقق هذا السيناريو من المؤكد أنه سيكون مكلفا بالنسبة للمغرب، نظرا لمجموعة من الاعتبارات والحسابات الإستراتيجية والتكتيكية؛ فقد تمكن المغرب، بعد مسار طويل من الشد والجذب، من تحقيق مجموعة من المكتسبات مع الفضاء الأوروبي كشريك اقتصاديا وتجاريا، وحليف سياسي مروض غير معادٍ لمصالح المملكة، وذلك بالاعتماد على أوراق ضغط مهمة، كملفات الهجرة والإرهاب والمخدرات..

يبدو أن جائحة كوفيد (19) لا تختلف عن الجوائح الأخرى التي عرفتها البشرية خلال القرون التي خلت، إن على مستوى المآسي والضحايا والخسائر البشرية والاقتصادية والإعطاب الاجتماعية والنفسية، أو على مستوى تداعياتها وانعكاساتها على التوازنات الدولية والجيوسياسية. ويمكن الإشارة في هذا الصدد إلى أربعة خلاصات أساسية:

أولاً، العودة إلى الدولة الوطنية مقابل التراجع أو التشكيك في فاعلية ونجاعة الاتحادات والتكتلات الموجودة، إذ كشفت الجائحة على أن النزعة القومية داخل الدولة القطرية لا تزال قائمة ومنتشرة داخل المجتمعات. حيث رغم ما حققته التكتلات من رفاه مادي ومستوى معيشي مغري للأفراد، إلا أنها فشلت في طمس النزعة الهوياتية المحلية.

ثانياً، العالم يعيش مرحلة مخاض العودة إلى القطبية الدولية عوض الأحادية، وذلك نتيجة تراجع الريادة الأمريكية والاتجاه نحو تقاسم الزعامة مع بعض التحالفات كالصين وروسيا، حيث كشفت أزمة فيروس كورونا المستجد عن تراجع دور أمريكا القيادي في العالم، وبروز مؤشرات تؤكد بداية نهاية الحقبة الأمريكية.

وقد شكلت هذه الجائحة وما أفرزته من تحديات اختبار عسير وصعب للنظام العالمي القائم الذي تزعمه أمريكا، وذلك على إثر فراغ القيادة الذي بات ظاهراً بسبب عدم تحمل مسؤولية في إدارة الأزمة والتخطيط في التصدي لهذا الوباء. هذا الوضع يستدعي أو بات يفرض تشكيل هيكل دولي جديد يقوم على قيادة مشتركة وقيم جديدة تتجاوز القيم والمبادئ الليبرالية التي ارتبطت بالمنظومة الغربية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية.

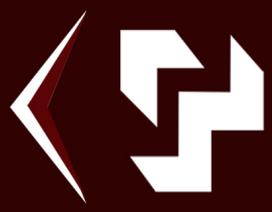
ثالثاً، مستقبل الاتحاد الأوروبي بات مفتوحاً على كافة السيناريوهات، خاصة في ظل صعود التيارات الشعبوية التي غدت كأيدولوجية منتشرة تعتمد الخطاب العاطفي السطحي لتأجيج المشاعر دون الغوص في تقديم أفكار وبرامج حقيقية.

التاريخ يعيد نفسه، ونفس السيناريو ربما يتكرر رغم اختلاف السياقات، فانهاء الحروب الطاحنة التي عرفتها القارة الأوروبية جاء نتيجة معاهدة ويستفاليا (1648)، التي مهدت لنهاية عصر الإقطاع وبداية عنصر النهضة والصناعة، وظهور ونشوء الدول القومية، خاصة مع تفكك الإمبراطوريات

ومع انتشار الأفكار القومية في أوروبا خلال القرن التاسع عشر، ظهرت كيانات جديدة كانت تتغذى وتستمد وجودها من الهوية والانتماء والملاح والتميز، مما أدى إلى بروز مفاهيم جديدة، "الأمة" و"التميز العرقي" "الوطن"، هذه المفاهيم أخذت أبعاداً عرقية/شوفينية ساهمت في نشوء حركات عنصرية ووصول الحكم النازي في ألمانيا والحكم الفاشي في إيطاليا بعد الحرب العالمية الأولى.

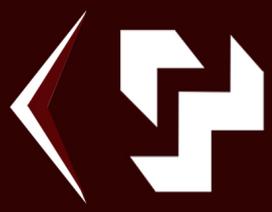
لكن مع بداية القرن العشرين، وكما سبق الذكر، ظهرت مجموعة من النظريات التفسيرية Théories de l'intégration internationale régionale حول مسار الاتحاد الأوروبي من الناحية النظرية تحت ما يعرف باسم نظريات الاندماج الإقليمي. وشكلت هذه النظريات أهم مفاتيح النجاح والازدهار والتقدم.

غير أنه خلال القرن الواحد والعشرين، ومع جائحة كوفيد 19، يلاحظ أن هناك طلب متزايد على العودة إلى الدولة القومية في ظل ارتفاع منسوب "الشعور القومي/الهوياتي لاسيما على مستوى الرقعة الأوروبية، خاصة مع تراجع أحزاب الوسط وصعود الأحزاب الشعبوية واليمينية التي لها انتقادات على الاتحاد الأوروبي، وعلى منطقة اليورو، وعلى العولمة، خاصة بعد فشل الاتحاد في تحقيق الأمان "للمواطن الأوروبي" خلال الجائحة، هذا التحول، سيؤثر دون شك على مستقبل الاتحاد، حيث من المحتمل أن يستثمر هذا التيار الصاعد أزمة كورونا كما استفاد في السابق من مشاكل وأزمات كثيرة مثل تدفق المهاجرين..



محاولة لفهم المتغيرات الإقليمية المحتملة وتداعياتها

دول الاتحاد بعد الجائحة مقبلة على سياسة الانكفاء على الذات لإصلاح الأوضاع الداخلية(خطاب ماكرون ليوم الأحد 14 يونيو 2020 أكد هذا التوجه)، وهذا التوجه يعيد إلى الأذهان ما قام به هتلر لإدارة ألمانيا بعد أزمة الكساد الكبير، حيث نهج اسلوبا خاصا يركز على صناعة التسلح وتقوية الجبهة الداخلية، ليقرر بعد ذلك الانسحاب من عصبة الأمم وانهار هذه المنظمة. رابعا، تأثر المغرب بالتحويلات الدولية والإقليمية، خاصة في ظل التحويلات داخل الإدارة الأمريكية وتغير الخريطة السياسية في أوروبا. فعوض التعامل مع الاتحاد ككيان مؤسساتيا موحدا على مستوى السياسيات والتوجهات، فالتحويلات الجيواستراتيجية المحتملة ستدفع المغرب إلى مراجعة سياساته للتأقلم واحتواء التيارات الشعبوية الصاعدة في أوروبا على غرار إدارته لتغير طواقم البيت الأبيض بعد كل انتخابات من جهة، ومحاولة الانفتاح أكثر على القوى الدولية المؤثرة في صناعة القرار مثل الصين وألمانيا وروسيا للدفاع عن الوحدة الترابية وحماية المصالح الحيوية من جهة أخرى.



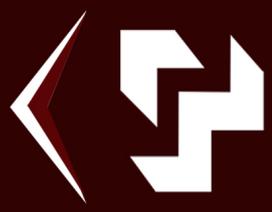
المراجع

بالعربية

- كريب إبان. " النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس"، ترجمة محمد حسن غلوم، عالم المعرفة، الكويت، العدد 244. سنة 1999.
- عامر مصباح، نظريات تحليل التكامل الدولي، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2008
- جيمس دورتي، روبرت بالاستغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، ترجمة: وليد عبد الحي، كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، 1891.
- عبد الناصر جندلي، "التنظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية والنظرية التكوينية"، الجزائر: دار الخلدونية للنشر والتوزيع، 2007
- جون بيليس وستيف سميث، عولمة السياسة العالمية، ترجمة مركز الخليج للأبحاث، مركز الخليج للأبحاث، دبي، 2004.

اللغة الأجنبية

- Alfredo Suarez ; Intégration régionale, Hachette,2009
- Jean-Jacques RousseauDu Contrat Social Ou Des Principes Du Droit Politique, éditions sociales 1983-
- G. John Ikenberry, How the World Will Look After the Coronavirus Pandemic, PredictionspaperForeign Policy, 20 March 2020
- Thomas hobbes. Le leviathan. Traduit par francoistricaut. éditionssierry. Paris 1971
- King Preston, Federalism and Federation (London: Croom Helm, 1982)
- Lindberg Leon, The Political Dynamics of European Economic Integration (Stanford: stanford university press, 1963)
- Mitrany David (ed), The Functional Theory of Politics (London School of Economics & Political Science: Martin Robertson, 1975).
- Beach Derek, The Dynamics of European Integration: Why and when EU institutions matter (Basingstoke: Palgrave Macmillan, 2005).
- Les processus d'intégration régionale, vecteurs de recomposition du système international ?<https://bit.ly/3d1l1BH>



الويبوغرافيا

- ابراهيم أبراش، "الكورونا يضع النظام الدولي على المحك"، نشر بتاريخ 2020/04/15 على موقع ميدل ايست أولاين.
- محمد كاظم المعيني، "جائحة كورونا .. وأزمة النظام العالمي الجديد"، مركز البيان للدراسات والتخطيط" نشر بتاريخ 2020/04/11
- يورغنهامبرماس والجائحة: راجع الحوار الذي نشر يوم 11 أبريل 2011، وتم ترجمته ونشره فيما بعد على موقع "حكمة" على الرابط التالي: <https://bit.ly/2N3BzRj>
- لتحميل عدد مجلة فورين بولي سي الصادر بتاريخ 2020/03/20 على الرابط التالي: <https://bit.ly/2ADP2fZ>
- مجلة فورين بوليسي، ملف خاص عن انحسار العولمة بسبب جائحة كورونا، وتراجع النفوذ الأمريكي لصالح قوى جديدة كالصين، الملف صدر بتاريخ 12 ماي 2020 ، وللاطلاع على هذا العدد على الرابط التالي: <https://bit.ly/30G2Jpo>
- _ L'Union européenne et le coronavirus, Question d'Europe n°553. La Fondation Robert Schuman / <https://bit.ly/2V3iTWn>
- Pierre de senarclens ,la politique internationale, paris : Armand colin,1992